مصعب بن عمير أول داعية للإسلام بالمدينة

هذه الخطبة عن الصحابي الجليل (مصعب بن عمير) رضي الله عنه.

كان مصعب شابا غنيا منعما حسن الوجه لطيف المعاملة ، فضحى بذلك كله لله ، وأسلم وتحمل الأذى في سبيل الله ، وأرسله رسول الله قبل الهجرة إلى المدينة فكان له دور كبير في تهيئة أهلها ودعوتهم للإسلام ، فأسلم على يده خلق كثير، فلا ينبغي إغفال دوره في الهجرة.

عناصر الخطبة:

أولا / إسلام مصعب بن عمير.

ثانيا/ الرسول يبعثه داعية إلى المدينة.

ثالثا/ مصعب بن عمير المجاهد في سبيل الله.

رابعا/ كلمة لشبابنا.

أولا / إسلام مصعب بن عمير

كان في صغره وقبل إسلامه شابا جميلا مدللا منعما، يلبس من الثياب أغلاها، يعرفه أهل مكة بعطره الذي يفوح منه دائما.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكره ويقول: (ما رأيت بمكة أحسن لمة ولا أرق حلة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير)

وأبوه وأمه من أغنى أغنياء مكة، وكانا يحبانه حبا شديدا، فرغباته كلها منفذة، وطلباته كلها مجابة.

سمع مصعب ما سمعه أهل مكة من دعوة محمد صلى الله عليه وسلم التي ينادى فيها بعبادة الله وحده، وترك عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، والمساواة بين الناس، والتحلي بمكارم الأخلاق، فتحركت نفسه، وتاقت جوارحه أن يتعرف على هذا الدين الجديد.

ولم يمض غير قليل حتى أسرع للقاء النبي في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وأعلن إسلامه.

وكانت أمه خناس بنت مالك تتمتع بقوة شخصيتها، وكان مصعب يهابها، ولم يكن حين أسلم يخشى شيئا قدر خشيته من أن يتسرب خبر إسلامه إلى أمه، فقرر أن يكتم إسلامه حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا، وأخذ يتردد على النبي في دار الأرقم، يصلي معه ويستمع إلى آيات الله.

وذات يوم رآه عثمان بن طلحة وهو يصلي مع الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فذهب إلى أمه وأخبرها بما رأى، فطار صوابها، وغضبت عليه هي وقومها غضبا شديدا.

لكن الفتى المؤمن وقف أمامهم يتلو عليهم القرآن في يقين وثبات، لعل الله يشرح به قلوبهم، ولم يشأ الله هدايتهم بعد، فقرروا حبسه، وعذبوه، فصبر واحتسب ذلك كله في سبيل الله.

ومنعت أمه عنه الطعام ذات يوم، ورفضت أن يأكل طعامها من هجر آلهتها ولو كان ابنها، وأخرجته من دارها، وهي تقول له: اذهب لشأنك لم أعد لك أما.

ورغم كل هذا يقترب مصعب من أمه ويقول لها: يا أمه أني لك ناصح، وعليك شفوق، فاشهدي أنه لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله.

فتجيبه غاضبة: قسما بالآلهة، لا أدخل في دينك، فيزري برأيي ويضعف عقلي.

وعندما سمع مصعب بخروج بعض المؤمنين مهاجرين إلى الحبشة هاجر معهم، ثم عاد إلى مكة مع الذين عادوا إليها، فرآه قومه بعد رجوعه فرقت

قلوبهم، وكفوا عن تعذيبه.

ثانيا/ الرسول يبعثه داعية إلى المدينة

وبعد بيعتي العقبة الأولى جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم من آمن من الأنصار، وطلبوا منه أن يرسل معهم من يقرئهم القرآن ويعلمهم أمور دينهم، فاختار الرسول مصعبا ليكون أول سفير له خارج مكة، وأول مهاجر إلى المدينة المنورة.

دعوته في المدينة:

وكان مصعب يدعو الناس إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، فأسلم على يديه سادة أهل المدينة، مثل: أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ.

وقصة ذلك أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب يوما، واجتمع إليهما رجالا من المسلمين – وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير سيدا قومهما من بني عبد الأشهل يومئذ على الشرك – فلما سمعا بذلك قال سعد لأسيد: اذهب إلى هذين اللذين أتيا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما عن أن يأتيا ديارنا، فإن أسعد ابن خالتي، ولولا ذلك لكفيتك هذا.

فأخذ أسيد حربته وأقبل إليهما: فلما رآه أسعد قال لمصعب، هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه، وجاء أسيد فوقف عليهما متشمتا، وقال: ما جاء بكما إلينا تسفها ضعفاءنا، اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة!!!

فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمرا قبلته وإن كرهته نكف عنك ما تكره، فقال: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس فكلمه مصعب عن الإسلام، وتلا عليه القرآن قال: فو الله لقد عرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، في إشراقه وتهلله.

ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله؟ كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ فقالا له: كيف يفعل فاغتسل، وطهر ثوبه، وتشهد وصلى ركعتين.

ثم قال: إن ورائي رجلا إن أسلم لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرشده إليكما الآن، ثم ذهب إلى سعد بن معاذ فلما رآه سعد قال لقومه: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما وقف أسيد على النادي قال لسعد: كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا، وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، ثم حث سعدا على الذهاب فلما ذهب سعد ورآه أسعد بن زرارة قال لمصعب: جاءك والله من وراءه قومه، إن يتبعك لم يتخلف عنك منهم أحد.

وجاء سعد فوقف عليهما متشمتا، فقال مصعب لسعد بن معاذ: أو تقعد فتسمع، فإن رضيت أمرا قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره، قال: أنصفت، ثم ركز حربته فجلس فعرض مصعب الإسلام عليه وقرأ عليه القرآن فانشرح صدره.

ثم قال: كيف تصنعون إذا أسلمتم فقال: تغتسل وتطهر ثوبك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين، ففعل ذلك، ثم أخذ حربته فأقبل إلى نادي قومه فلما رأوه قالوا: نحلف بالله لقد رجع بغير الوجه الذي ذهب به.

ثم بدأ هنا سعد بن معاذ يدعوا إلى دين الله الذي اعتنقه وصدق به، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأيا، وأيمننا نقيبة، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله ، فما أمسى فيهم رجل ولا امرأة إلا مسلما ومسلمة إلا رجلا واحدا، يدعى الأصيرم تأخر إسلامه إلى يوم أحد.

وأقام مصعب يدعو إلى الله حتى لم يبق بيت من بيوت الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون منها.

هذا هو مصعب قد قام بمهمته خير قيام وقبل حلول موسم الحج عاد مصعب إلى مكة يحمل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشائر النصر والفوز ويقص عليه خبر قبائل يثرب، وما فيها من مواهب الخير وما لها من قوة ومنعة لنصرة هذا الدين، فسر النبي وبايع الأنصار في هذا الموسم في السنة الثالثة عشرة من النبوة وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين.

وبايعوه على أن يمنعوه صلى الله عليه وسلم مما يمنعون منه أنفسهم وأموالهم وأولادهم وعلى النفقة في العسر واليسر وعلى السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى نصرة رسول الله النصرة التامة وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال قائل منهم: فما لنا يا رسول الله؟

قال: (لكم الجنة) ، قالوا: رضينا، ثم انتهت البيعة وأذن الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالهجرة إلى يثرب وسماها بعد ذلك المدينة النبوية.

ثالثا/ مصعب بن عمير المجاهد في سبيل الله

في غزوة بدر:

وتمضي الأيام والأعوام، ويهاجر الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، وتغضب قريش، وتعد العدة لقتال المسلمين، ويلتقي جيش المسلمين والكفار في غزوة بدر، وينتصر المسلمون.

وفي غزوة أحد:

اختار الرسول مصعبا ليحمل اللواء، ونشبت معركة رهيبة واحتدم القتال، وكان النصر أول الأمر للمسلمين، ولكن سرعان ما تحول النصر إلى هزيمة لما خالف الرماة أمر رسول الله ، ونزلوا من فوق الجبل يجمعون الغنائم، وأخذ المشركون يقتلون المسلمين، وبدأت صفوف المسلمين تتمزق.

وركز أعداء الإسلام على الرسول وأخذوا يتعقبونه، فأدرك مصعب هذا الخطر، وصاح مكبرا، ومضى يجول ويصول، وهمه أن يلفت أنظار الأعداء إليه؛ ليشغلهم عن رسول الله.

استشهاده:

وتجمع حوله الأعداء، فضرب أحدهم يده اليمنى فقطعها، فحمل مصعب اللواء بيده اليسرى، فضرب يده اليسرى فقطعها، فضم مصعب اللواء إلى صدره

بعضديه، وهو يقول: وما محمد إلا رسول الله قد خلت من قبله الرسل، فضربه أعداء الله ضربة ثالثة فقتلوه، واستشهد مصعب.

وبعد انتهاء المعركة جاء الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه يتفقدون أرض المعركة، ويودعون شهداءها، وعند جثمان مصعب سالت الدموع ، ولم يجدوا شيئا يكفنونه فيه إلا ثوبه القصير، إذا غطوا به رأسه انكشفت رجلاه، وإذا وضعوه على رجليه ظهرت رأسه .

يقول خباب بن الأرت :هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نبتغي وجه الله، فوقع أجرنا على الله فمنا من مضى لسبيله لم يأكل من أجره شيئا منهم: مصعب بن عمير قتل يوم أحد ولم يترك إلا نمرة كنا إذا غطينا رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (غطوا رأسه، واجعلوا على رجليه من الإذخر) وهو نبات معروف طيب الريح، متفق عليه.

ومضى مصعب إلى رحاب الله سبحانه، وصدق فيه قول الله تعالى: {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا} [الأحزاب: 32]

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ينظر إلى شهداء أحد: (أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة، فوالذي نفسي بيده لا يسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه) الحاكم والبيهقي.

رابعا/ كلمة لشبابنا

فهل لشبابنا أن يتخذوه قدوة لهم ويكونوا مثله على الأقل في مجال الدعوة إلى الله والعبادة والعمل الصالح؟

وهل لشبابنا أن يتذاكروا بطولات هؤلاء الرجال من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بدل بطولات لاعبي الكرة ومغامرات السفهاء ومدمني المخدرات؟

إذا أردنا أن ننهض بشباب الأمة فيجب علينا أن نربيهم على سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى سيرة الرعيل الأول كأمثال حمزة ومصعب وجعفر وابن رواحة وابن عمر وابن عباس وأسامة بن زيد وغيرهم وهم كثير، ولله الحمد ونغرس فيهم التفاني من أجل الدين ونرتفع بهم من ثقلة الأرض إلى علو السماء، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، وأن نؤدبهم على ذلك من الصغر، حتى تصبح عزة أحدهم بدينه طابعا لا تطبعا وخلقا لا تخلقا، فحينئذ نجني الثمرة المرجوة من شبابنا.